

حكايات جزائريّة
لونجة بنت الغولة
CHIHAB Kids

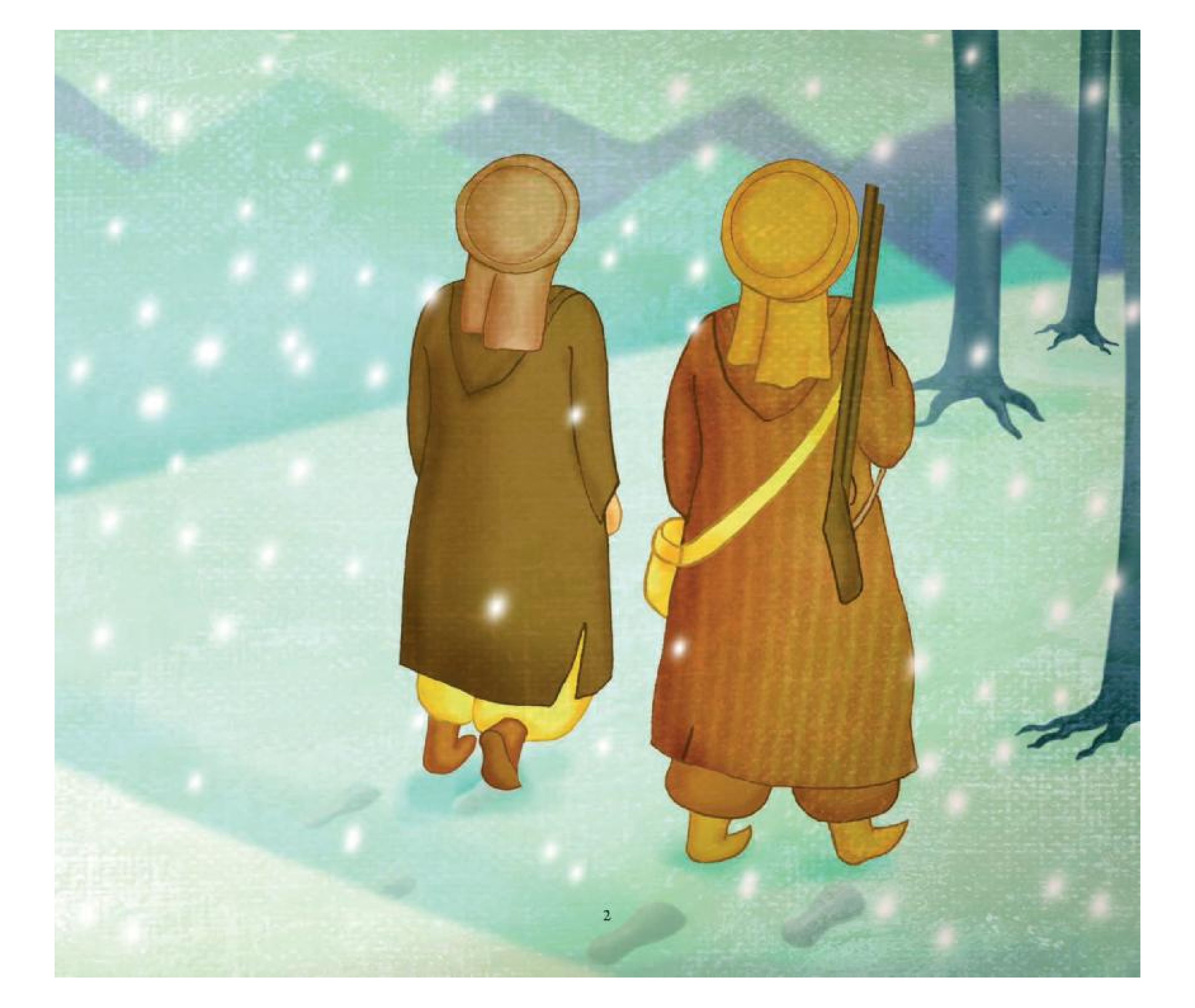
حكايات جزائرية

لونجة بنت الغولة



قصص جمعتها : وردة عكيف
الترجمة : شهرزاد صغير
مراجعة : محمد أمير لعرابي
رسوم : نشوى جغري





في يَوْمٍ مِنَ الأَيَامِ، خَرَجَ إيشْري وَ صَديقُهُ في رِحْلةٍ إلى جِبالِ الأَوْراسِ الثَّلْجيَّةِ، وَ في طَريقِهِما إلى قِمَّة شيلْيا اِصْطادَ إيشْري حَجَلًا، ثُمَّ أَخَذَ يَتَأَمَّلُ اِنْسِجامَ لَوْنِ دَمِهِ الأَحْمَرِ مَعَ لَوْنِ الثَّلْجِ الأَبْيَضِ، فقالَ لِصَديقِهِ :

« كَمْ أَتَمَنَّى يا صَديقي أَنْ أَتَزَوَّجَ فَتاةً بَشَرَتُها بَيْضاءُ كَالثَّلْجِ، وَ شَفَتاها حَمْراوَان كَالدَّمِ ».

ثُمَّ أَخَذَ الطّائِرَ وَ وَضَعَهُ في الكيسِ وَ تابَعَ الصَّديقانِ طَريقَهُما.

غَيْرَ بَعيدٍ مِنْ هَذا المَكانِ، كانَتْ تَصْطادُ غولَةٌ، فَشَمَّتْ رائِحَةَ البَشَرِ ؛ اقْتَرَبَتْ مِنَ البُقْعَةِ الَّتي كانَ فيها إيثْري وَ صَديقُهُ، فَإذا بِها تَجِدُ طِفْلَةً صَغيرَةً تَرْتَجِفُ مِنْ شِدَّةِ البَرْدِ !

أَشْفَقَتِ الغولَةُ عَلَيْهَا فَفَتَحَتْ ذِراعَيْها وَ قالَتْ لَها بِنَبْرَةِ عَطْفٍ وَحَنانٍ : « تَعالي إلَى حُضْني لِتَشْعُرِي بالدِّفْءِ ».

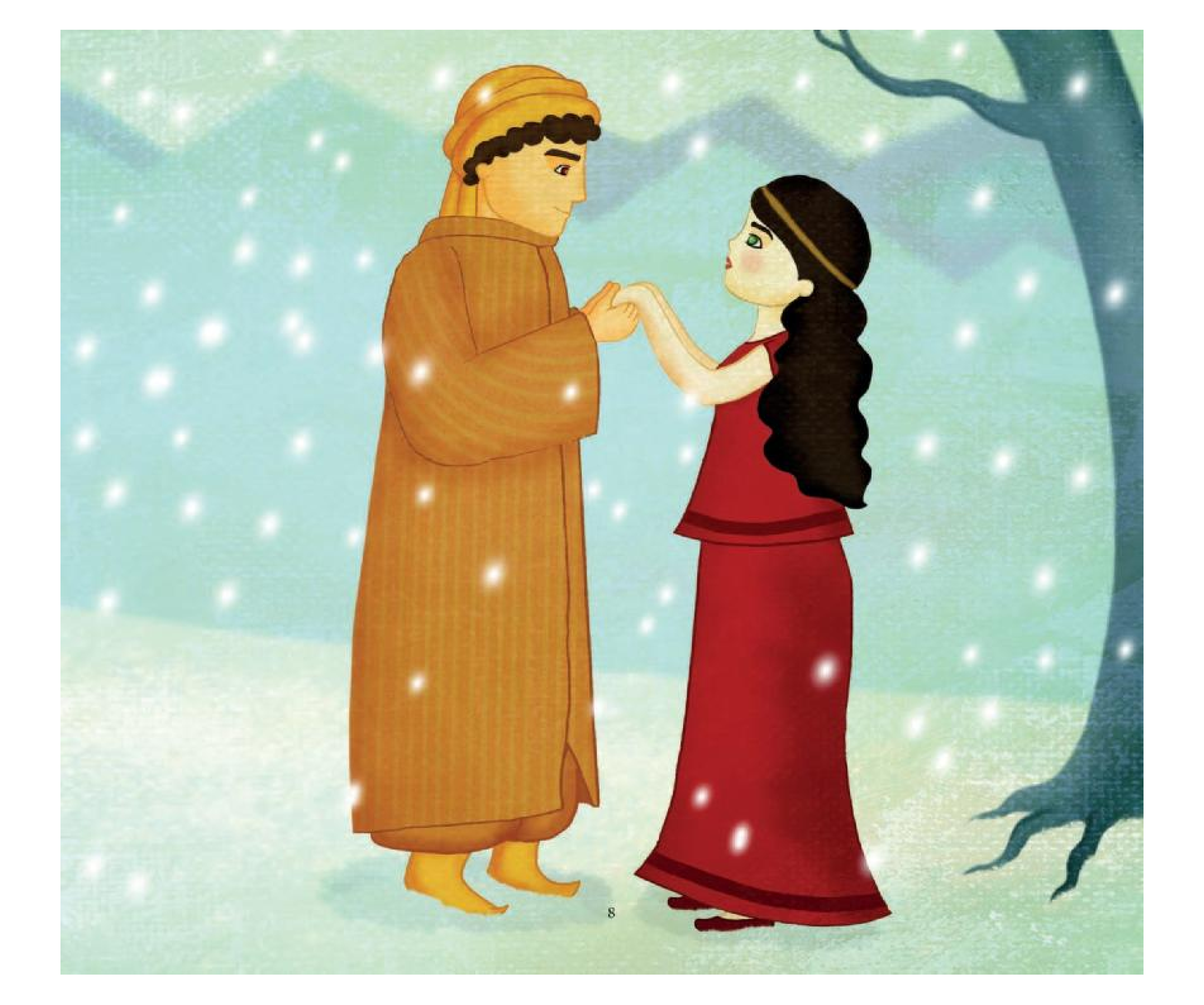
اِرْتَمَتِ الصَّغيرَةُ بَيْنَ ذِراعَيْها، فَشَعَرَتِ الغولَةُ بِعَطْفٍ أَكْثَرَ نَحْوَها، فَقَرَّرَتْ أَنْ تَتَبَنّاها وَ أَطْلَقَتْ عَلَيْها اسْمَ « لونْجَة ». أَحَبَّتِ الغولَةُ لونْجَة كَثيرًا، كانَتْ تَعْتَني بِها، وَ تُغَذِّيها مِنْ لَبَنِها، مِمّا جَعَلَها تَكْبُرُ بِسُرْعَةٍ، وَ في غُضونِ سَنَةٍ واحِدَةٍ فَقَطْ صارَتْ شابَّةً في غايَةِ الجَمالِ !

كانَتْ لونْجَة فَتاةً هادِئَةً وَ مُطيعَةً، تَهْتَمُّ جَيِّدًا بِشُؤونِ البَيْتِ، بَيْنَما تُمْضي الغولَةُ الوَقْتَ كُلَّهُ في الصَّيْدِ، وَ لا تَعودُ إلَّا في المَساءِ.



ذاتَ يَوْم، اِسْتَأْذَنَتْ لونْجَة أُمَّها الغولَةَ في الذَّهابِ إلَى الجَبَلِ لِتَسْتَمْتِعَ بِجَمالِ الثَّلْجِ وَ بَياضِه، فَأَذِنَتْ لَهَا.
في الوَقْتِ ذاتِه، كانَ إيثْري يَقومُ بِنُزْهَةِ صَيْدٍ في المُروجِ، وَ فَجْأَةً سَمِعَ صَوْتًا فَصَوَّبَ بُنْدُقِيَّتَهُ نَحْوَهُ، ظَهَرَتْ لونْجَة وَ أَخَذَتْ تَتَوَسَّلُ الشَّابَّ بِأَنْ لا يُطْلِقَ النَّارَ.
وَقَفَ إيثْري مَشْدوهًا وَ قالَ : « ما أَجْملَكِ يا فَتاة ! مَنْ تَكونينَ وَ ماذا تَفْعَلينَ هُنَا ؟! ».
رَدَّتْ لونْجَة قائِلَةً : « أَنا لونْجَة ابْنَةُ الغولَةِ، أَرْجوكَ غادِرِ المَكانَ قَبْلَ أَنْ تَصِلَ أُمِّي وَ تَجِدَكَ هُنا ».
أُعْجِبَ إيثْري بِلونْجَة كَثيرًا، وَ وَعَدَها بِأَنْ يَعودَ في الغَدِ لِرُؤْيَتِها.





كانَتْ هَذِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ تَرَى فيها لونْجَة كائِنًا بَشَرِيًّا مُنْذُ أَنْ سَكَنَتْ في الجَبَلِ، لِهَذا فَإنَّ صورَةَ الشّابِّ لَمْ تُفارِقْ خَيالَها وَ ظَلَّتْ تُفَكِّرُ في أَمْرِه.

لاحَظَتِ الغولَةُ انْشِغالَ بالِ ابْنَتِها فَقالَتْ لَها : « أَشُمُّ فيكِ رائِحَةً غَريبَةً، هَلِ الْتَقَيْتِ اليَوْمَ بِأَحَدٍ مَا ؟ ».

أَشارَتْ لونْجَة بِرَأْسِها نافِيَةً ذَلِكَ، وَ اسْتَسْلَمَتِ الغولَةُ لِلنَّوْم.

وَ في يَوْمِ الغَدِ، قالَتْ لونْجَة لِأُمِّها : « أَرْجوكِ، دَعيني أَخْرُجُ لِبَعْضِ الوَقْتِ، فَأَنا أَشْعُرُ بِالمَلَلِ عِنْدَما تُغادرينَ البَيْتَ ». لَمْ يَكُنْ بِوُسْعِ الغولَةِ أَنْ تَرْفُضَ لِابْنَتِها طَلَبًا، فَسَمَحَتْ لَها بِالخُروج.

قَصَدَتْ لونْجَة المَكانَ نَفْسَهُ حَيْثُ كانَ إيثْري بِانْتِظارِهَا، فَفاجَأَهَا قائِلًا : « أَتَقْبَلينَ الزَّواجَ بي أَيَّتُها الحَسْناءُ ؟ ».

قالَتْ لونْجَة : « ماذا تَقولُ ؟! أَنَسيت أَنّي ابْنَةُ الغولَةِ، سَتَقْتُلُنا مَعًا إنْ عَلِمَتْ بِأَنّي أَراكَ دونَ عِلْمِها ».

قالَ إيثْري : « أَنْتِ لَسْتِ ابْنَتَها، بَلْ أَنْتِ كائِنٌ بَشَرِيٌّ، صَدِّقيني إنْ عادَتْ يَوْمًا مِنَ الصَّيْدِ خائِبَةً، فَلَنْ تَتَوانَى عَنْ أَكْلِكِ، سَتَكونينَ فَريسَةً سَهْلَةً ». ثُمَّ أَضافَ بِنَبْرَةٍ حانِيَةٍ : « لِنَتَزَوَّجْ وَ نَرْحَلْ مِنْ هُنا، أُريدُ أَنْ نَذْهَبَ إلى مَكانٍ لا تَجِدُنا فيهِ الغولَةُ، سَأَعودُ بَعْدَ شَهْرٍ لِأُخَلِّصَكِ مِنْها، فَكِّري بِالأَمْرِ جَيِّدًا ».



دَبَّ الخَوْفُ في نَفْسِ الفَتاةِ فَجْأَةً، فَتَرَكَتْ إيثْري وَ غادَرَتِ المَكانَ دونَ أَنْ تُوَدِّعَهُ، وَ لَمّا حَلَّ المَساءُ، عادَتِ الغولَةُ فَقالَتْ لِابْنَتِها : « عَزيزَتي لونْجَة، أَشُمُّ اليَوْمَ أَيْضًا رائِحَةَ البَشَرِ، هَلِ الْتَقَيْتِ بِأَحَدِهِمْ ؟ ».

أَنْكَرَتْ لونْجَة فَقالَتِ الغولَة : « سَقَيْتُكِ مِنْ لَبَني وَ رَبَّيْتُكِ كَابْنَةٍ لي، إنْ فارَقْتِني يَوْمًا فَسَتَحُلُّ عَلَيْكِ لَعْنَتي، وَ سَأَجِدُكِ أَيْنَما تَكونينَ ». ثُمَّ ذَهَبَتْ لِلنَّوْمِ تارِكَةً لونْجَة في حَيْرَةٍ وَ قَلَقٍ.

فَكَّرَتْ لونْجَة مَلِيًّا وَ قَرَّرَتْ أَنْ تَرْحَلَ عَنِ البَيْتِ عِنْدَ انْقِضاءِ الشَّهْرِ الَّذي حَدَّدَهُ إيثْري.

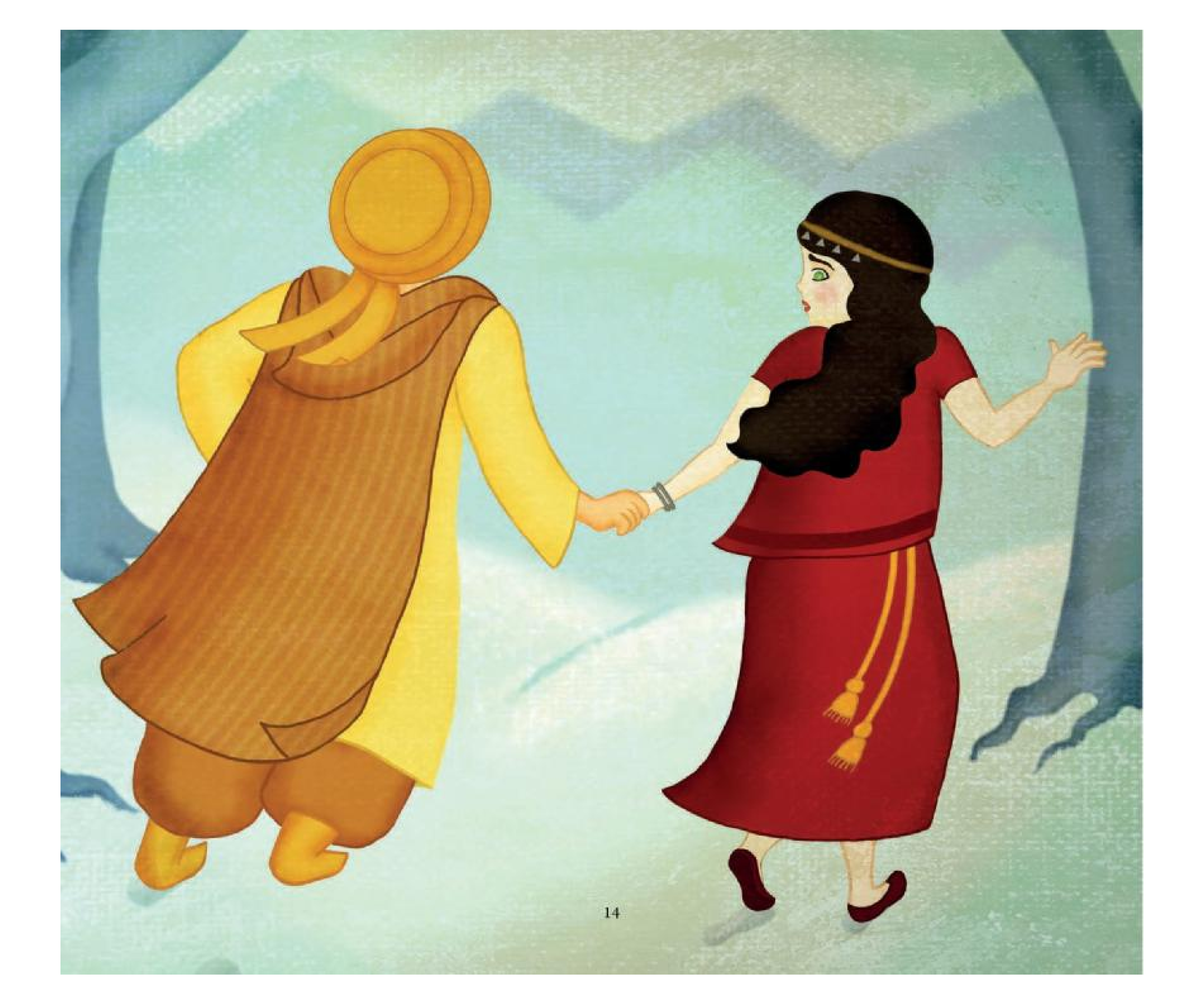




وَ لَمَّا جاءَ اليَوْمُ المُحَدَّدُ، اِنْتَظَرَتْ لونْجَة مَوْعِدَ خُروجِ الغولَةِ لِلصَّيْدِ، فَأَخَذَتْ مَعَها بَعْضَ الثِّيابِ وَ الطَّعامِ، وَ غادَرَتِ البَيْتَ خِفْيَةً، وَ عِنْدَ وُصولِها إلى سَفْحِ الجَبَلِ، وَجَدَتْ إيثْري بِانْتِظارِها، فَاسْتَعْجَلَتْهُ بِالهُروبِ قَبْلَ عَوْدَةِ الغولَةِ ثُمَّ انْطَلَقَا بِسُرْعَةٍ.

عادَتِ الغولَةُ إِلَى بَيْتِها، فَنادَتِ ابْنَتَها لَكِنَّها لَمْ تُجِبْ ؛ بَحَثَتْ عَنْها في كُلِّ أَرْجاءِ البَيْتِ فَأَدْرَكَتْ بِأَنَّها رَحَلَتْ عَنْها، فَأَطْلَقَتْ صَرْخَةً مُدَوِّيَةً وَصَلَتْ إلى مَسْمَعِ لونْجَة فَزادَتْ هَلَعًا.

عَرفَتْ لونْجَة بِأَنَّ الغولَةَ سَتَتْبَعُ أَثَرَها، فَوَضَعَتْ يَدَها بِيَدِ إيثْري وَ راحَا يَجْرِيانِ خَوْفًا مِنْ أَنْ تَلْحَقَ بِهِمَا، وَ بَيْنَما هُما كَذَلِكَ، اِعْتَرَضَتْهُما صَخْرَةٌ، فَاقْتَرَبَتْ مِنْها لونْجَة وَ قالَتْ : « أَيَّتُها الصَّخْرَةُ المَلْساءُ، هَلّا ابْتَعَدْتِ عَنْ طَريقِنَا، فَأُمّي الغولَةُ عَلَى أَثَرِنا ».





اِنْزاحَتِ الصَّخْرَةُ عَنْ مَكانِها وَ تَرَكَتْهُما يَمُرّانِ. اِنْطَلَقَ الشّابّانِ فَوَجَدا في طَريقِهِمَا غابَةً كَثيفَةً، تَسَلَّلا بَيْنَ أَشْجارِهَا، لَكِنَّهُما في كُلِّ مَرَّةٍ كانا يَجِدانِ نَفْسَيْهِما عِنْدَ نَفْسِ النُّقطَةِ الَّتي اِنْطَلَقا مِنْهَا. قالَتْ لونْجَة لِلْغابَةِ :
« أَيَّتُها الغابَةُ المُزْهِرَةُ ذاتُ الأَشْجارِ المُثْمِرَةِ، ساعِدينا عَلى الخُروجِ، فَأُمّي الغولَةُ عَلى أَثَرِنا ».
وَ فَجْأَة، تَنَحَّتِ الأَشْجارُ جَانِبًا، فَغادَرا الغابَةَ بِكُلِّ سُهولَةٍ، وَ وَصَلا إلى نَهْرٍ مُتَدَفِّقٍ، فَكانَ مِنَ الصَّعْبِ عَلَيْهِما أَنْ يَعْبُراهُ دونَ أَنْ يَغْرَقا.
قالَتْ لونْجَة لِلنَّهْرِ بِلُطْفٍ : « أَيُّها النَّهْرُ ذو الماءِ العَذْبِ وَ النَّقِيِّ، دَعْنا نَمُرُّ فأُمّي الغولَةُ عَلَى أَثَرِنا »، فَإِذا بِالنَّهْرِ يَجِفُّ، فَأَكْمَلَ الشّابّان طَريقَهُما في أَمانٍ.



فِي هَذِهِ الأَثْناءِ، اِعْتَرَضَتْ طَرِيقَ الغولَةِ صَخْرَةٌ فَقالَتْ لَها : « اِبْتَعِدي عَنْ طَريقي يا صَخْرَةَ النَّحْسِ ». تَحَوَّلَتِ الصَّخْرَةُ إلى كُتْلَةٍ حَجَرِيَّةٍ تَحَطَّمَتْ عَلَى الأَرْضِ فَأَصابَتْها ؛ صاحَتِ الغولَةُ مِنْ شِدَّةِ الأَلَمِ، ثُمَّ واصَلَتْ طَريقَهَا. لَمّا وَصَلَتْ إلَى الغابَةِ قالَتْ لَهَا : « دَعيني أَمُرُّ أَيَّتُها الغابَةُ اللَّعينَةُ، فَأَنا لَمْ أَعُدْ أَعْرِفُ طَريقي ». فَتَحَوّلَتِ الغابَةُ إلى أَشْجارٍ مِنَ الشَّوْكِ خَدَشَتْ جِسْمَها ! صاحَتِ الغولَةُ مِنْ شِدَّةِ الأَلَمِ، ثُمَّ أَكْمَلَتْ طَريقَها. وَ عِنْدَ وُصولِها إلى النَّهْرِ قالَتْ لَهُ بِغَضَبٍ : « دَعْني أَمُرُّ يا نَهْرَ الشُّؤْمِ ». اِغْتاظَ النَّهْرُ فَحَمَلَ الغولَةَ في مَجْراهُ، فَغَرِقَتْ في عُمْقِ المِياهِ وَ ماتَتْ.



أَخيرًا، وَصل إيشْري إلى قَرْيَتِهِ، فَقالَ لِلونْجَة : « نَحْنُ الآنَ في أَمانٍ يا لونْجَة، هَذا هُوَ بَيْتُنا، يَجِبُ أَلَّا تَظْهَري الآنَ مَعي، اِنْتَظِري في الحَظيرَةِ رَيْثَمَا أُخْبِرُ والِدايَ بِقُدومِك ».
وَ بَيْنَما كانَتْ تَنْتَظِرُهُ، كَلَّمَ إيشْري والِدَهُ فَقالَ : « وَجَدْتُ زِنْجِيَّةً في الجَبَلِ يا أَبي، إنَّها وَحيدَةٌ وَ يَتيمَةٌ، فَهَلْ تَسْمَحُ لَهَا بِقَضاءِ اللَّيْلَةِ عِنْدَنا ؟ ».
قَبِلَ الوالِدُ اِسْتِضافَةَ الفَتاةِ بِشَرْطِ أَنْ تُمْضِيَ اللَّيْلَةَ في الحَظيرَةِ ؛ أَسْرَعَ إيشْري لِيُخْبِرَ لونْجَة بِالأَمْرِ فَقالَتْ لَهُ : « أَلَمْ تُخْبِرْهُ بِأَنَّكَ تَنْوي الزَّواجَ بي ؟ ».
اِضْطَرَبَ إيشْري وَ قالَ مُتَلَعْثِمًا : « لا أُريدُ أَنْ أُغْضِبَ والِدي، فَهُوَ يُريدُني أَنْ أَتَزَوَّجَ اِبْنَةَ واحِدٍ مِنْ وُجَهاءِ القَرْيَةِ، لِهَذا لَمْ أُخْبِرْهُ بِأَمْرِ لِقائِنا، بَلْ أَخْبَرْتُهُ بِأَنَّكِ زِنْجِيَّةٌ فَقَدَتْ والِدَيْها ».
قالَتْ لونْجَة : « وَ ماذا لَوْ رَآني صُدْفَةً وَ اكْتَشَفَ أَنَّني بَيْضاءُ ؟! ».
أَخْرَجَ إيشْري مِنْ جَيْبِهِ خَلْطَةً سِحْرِيَّةً وَ قالَ : « خُذي هَذِهِ وَ اطْلي بِها جِسْمَكِ، سَيَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ في الحالِ ».
وَ لِأَنَّ لونْجَة كانَتْ تَثِقُ بِإيشْري كَثيرًا، فَإنَّها نَفَّذَتْ أَمْرَهُ فَأَصْبَحَتْ سَوْداءَ.
أَشْفَقَ والِدا إيشْري عَلَى لونْجَة، فَجَعَلاهَا خادِمَةً لَهُمَا، تَقومُ بِشُؤونِ البَيْتِ أَثْناءَ النَّهارِ، وَ حينَ يَحِلُّ اللَّيْلُ تَذْهَبُ لِلنَّوْمِ في الحَظيرَةِ.



ذاتَ يَوْم زارَها إيشْري خِلْسَةً، فَوَجَدَها تَبْكي، قالَ لَها : « ما الَّذي يُحْزِنُكِ يا لونْجَة ؟ ».
فَرَدَّتْ قائِلَةً : « خَيَّبْتُ أَمَلَ أُمّي وَ هِيَ مَنْ أَحْسَنَتْ إِلَيَّ، أَظُنُّ أَنَّ لَعْنَتَها قَدْ حَلَّتْ عَلَيَّ ».
شَعَرَ إيشْري بِتَأْنيبِ الضَّميرِ، فَكَلَّمَ والِدَيْهِ في أَمْرِ زَواجِهِ مِن لونْجَة ؛ صاحَتِ الأُمُّ مِنَ العارِ، أَمّا الوالِدُ فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَخْتارَ بَيْنَ اِبْنَةِ الرَّجُلِ الوَجيهِ وَ بَيْنَ وَاحِدَةٍ مِنْ قَريباتِهِ، لَكِنَّهُ رَفَضَ بِشِدَّةٍ.
ذَهَبَ إيشْري إِلَى لونْجَة، وَ طَلَبَ مِنْها أَنْ تَغْتَسِلَ بِالخَلْطَةِ السِّحْرِيَّةِ، فَعادَتْ بَيْضاءَ كَما كانَتْ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِها وَ قَدَّمَها لِوالِدَيْهِ، فَأُعْجِبا بِجَمالِها وَ قَبِلا بِها زَوْجَةً لِابْنِهِما.
أَخيرًا، شَقَّتِ السَّعادَةُ طَريقَها إِلَى قَلْبِ لونْجَة، فَنَسِيَتْ كُلَّ أَحْزانِها وَ عاشَتْ مَعَ إيشْري حَياةً هَنيئَةً وَ سَعيدَةً.

